١- أسرار عظمة الإسكندر الأكبر

لـوكـان من الممكن أن يتصف الإسكندر الأكبر المقدونـى ذو القرنـين بشـىء من العظمة – والعظمة لله وحده – فماذا عساها أن تكون أسرار مـا حبـاه الله بـه من العظمة ؟

عجيب شأن ذلك الإسكندر الأكبر المقدونى ذى القرنين (٣٥٦ – ٣٢٣ ق . م)! The Great Alexander إنه من أشهر شخصيات التاريخ البشرى كلـه فـى كـل العصور .

أبوه هو فيليب ملك مقدونيا Philip of Macedonومـع ذلـك فـهو لايذكـر أبدا منسوبا إلى أبيه ، بل هو معروف فى اللغة العربيـة باعتبـار أنـه " الأكـبر " وهو معروف فى اللغة الإنجليزية باعتبار أنـه " الأعظـم The Great " منفـردا بهذه التسمية من بين كل من حملوا اسم الإسكندر ALexander من ملوك وقادة على مدار التاريخ البشرى . والسبب فى ذلك أنه قـد انطلـق علـى رأس جيـش صغير من ولاية يونانية صغيرة هى ولاية مقدونيا ، وهى ولايـة صغـيرة فـى شمـال بلاد اليونان كان يطلق عليها تجاوزا مملكة مقدونيا Macedonia لينجح فى غـزو كل العالم المعمور فى زمانه محققا إنجازا تاريخيا لم يسبقه إليـه أحـد ولم يسـتطع أن يحققه من بعده أحد ، وذلك على الرغم من أنه لم يعش أكثر مـن ثلاثـة وثلاثـين عاما .

لقد كان "أدولف هتلر" فى العقد الرابع من القـرن العشـرين يحـاول نفـس المحاولة ، إذ كان هتلر يطمع فى أن ينطلق جزء من الجيش الألمانى بعد توغلـه فـى الأراضى الروسية بقيادة " الجنرال جودريان " جنوبـا نحـو " كييـف " بـدلا مـن

مهاجمة " موسكو " ، كما كان الجنرال جودريان وغيره من القادة الألمان يرغبون . وكان السبب فى ذلك هو أن هتلر كان لا يكفيه احتلال موسكو ، بل كان يرغب فى احتلال كييف حيث القمح والبترول ، وكان يرغب فى أن تتوغل الجيوش المدرعة الألمانية جنوبا نحو إيران والعراق لكى تلتقى مع فيلق شمال إفريقيا بقيادة الفيلد مارشال " إروين روميل " مرورا بمصر وفلسطين وسوريا لكى يكتمل طوق الحصار الألمانى البرى ولكى تتمكن ألمانيا من خلال هذا الطوق البرى من تحطيم سيطرة الأسطول الإنجليزى على البحار فى المحيط الأطلسى والبحر المتوسط الذى ستكون شواطئه قد تمكنت قوات هتلر البرية من احتلالها ، وهكذا تقضى السيطرة البرية الألمانية على السيطرة البحرية الإنجليزية ، ويتحقق لألمانيا الانتصار العالمى . وفشلت خطة هتلر فى روسيا وعند العلمين ، ولم يستطع هتلر القضاء على سيطرة الإنجليز على البحار كما استطاع الإسكندر الأكبر السيطرة على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط ، فاستطاع بذلك القضاء على سيطرة الأسطول الفارسى على مياه البحر المتوسط . هكذا كان نجاح الإسكندر الأكبر وهكذا كان فشل هتلر .

ومن العجيب أيضا أن مملكة مقدونيا كانت مملكة صغيرة من الممالك اليونانية الصغيرة المتناحرة المتنافرة .

ومن العجيب أن الإسكندر الأكبر لم يأبه كثيرا بتوحيد هذه الممالك اليونانية التى فشل أبوه فى السيطرة عليها وتوحيدها فى مملكة يونانية كبيرة ، وظلت أثينا على سبيل المثال تناوئ مقدونيا وتساعد غيرها من الممالك اليونانية الصغيرة حتى لا تسقط فى يد الملك المقدونى فيليب ، بل انطلق الإسكندر الأكبر على رأس جيش من مملكة مقدونيا وحدها لكى يطارد وحده جيوش الفرس وينتصر عليها فى معارك متعددة .

وفتحت له هذه الانتصارات الباب لكى يسيطر على كل العالم المعمور فى زمانه ، وهو إنجاز لم يتحقق لأحد قبل أو بعد الإسكندر الأكبر .

ومعنى ذلك أن الإسكندر الأكبر قد نجح فى بسط سيطرته على العالم دون أن يسيطر على الممالك اليونانية جنوب مملكة مقدونيا ، أو بالأحرى لم يحاول ذلك ولم يشغله ذلك مما يدل على عبقرية الإسكندر الأكبر التى جعلته يختار المهام والأهداف الكبرى ، متجنبا الاهتمام بأى هدف صغير حتى لا يعوقه عن إنجاز هدف كبير .

ومن العجيب حقا أن نجد أن الإسكندر الأكبر معروف فى بلاد الشرق الناطقة باللغة العربية الآن باعتبار أنه الإسكندر الأكبر ذو القرنين .

ولقد اختلفت الآراء إزاء هذا اللقب الذى نجده فى اللغة العربية دون غيرها من اللغات ، إذ يقال فى العربية : " الإسكندر ذو القرنين " ويقال فى اللغة الإنجليزية " الإسكندر العظيم The Great " ، واختلفت الآراء بصدد هذا اللقب من ألقاب الإسكندر فى اللغة العربية .

ومن المؤكد أن الإسكندر قد التصق به هذا اللقب فى اللغة العربية تأثرا بمن يرى أنه المقصود فى قول الله تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [سورة الكهف : ٨٣ – ٨٨] .

ولقد ذكر البيضاوى فى هذا الصدد أن الإسكندر ذا القرنين استطاع أن يكون ملكا على دولة الروم ودولة الفرس وهو ما لم يتحقق لأحد من الملوك غير

الإسكندر الأكبر . ودولة الفرس فى الشرق ، ودولة الروم فى الغرب ، وذلك سمى باسم الإسكندر ذى القرنين .

هذا ، ولم يذكر القرآن الكريم على الإطلاق أن الإسكندر الأكبر كان نبيا من أنبياء الله أو أنه كان رسولا من رسل الله ، ولكن القرآن الكريم قد ذكر دون ريب أن الإسكندر ذا القرنين قد مكن الله له فى الأرض، وصدق الله العظيم .

ينفرد الإسكندر الأكبر بأنه أعظم فاتح فى التاريخ . اتسع ملكه ليشمل مشارق الأرض ومغاربها وذلك بفضل ميزات حباه الله بها ، كما يتمثل ذلك فى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [سورة الكهف : ٨٤] .

ولقد أشار القرآن الكريم أيضا إلى ميزات الإسكندر الأكبر وحكمته وبراعة سياسته التى تتمثل فى قوله :

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [سورة الكهف :٨٧ – ٨٨] .

وإن دل هذا على شىء فهو يدل على عدل الملوك فى أسمى صور العدل .

ولقد كانت سياسة الإسكندر فى الممالك والبلاد التى خضعت لغزوه وانتصاره سياسة حكيمة بين اللين والشدة مع اهتمام واضح بالحصول على رضا الشعوب المغلوبة التى خضعت لنفوذه كما سيتضح عندما ندرس فتوحاته بالتفصيل .

وثمة عبرة مهمة يمكن استخلاصها بسهولة من فتوحات الإسكندر الأكبر الهائلة .

وتتمثل هذه العبرة المهمة فى أن الفتح العسكرى الذى يعتمد على قوة الجيوش المنتصرة ليست له أى آثار تبقى على مر الزمان ما لم يكن هذا الفتح متضمنا لزخم دينى أو حضارى كبير .

ولعل هذا الاعتبار المهم فيما يتعلق بشأن الفتوحات العسكرية التى تقوم على أساس من القوة العسكرية وحدها يد حض مزاعم خصوم الإسلام عندما يقولون : إن الإسلام قد انتشر بالسيف .

السيف وحده لا يقيم حضارة ولا ينشر مبادئ عقيدة ولا أحكام شريعة ، وما أخذ بالسيف يؤخذ ممن اعتمد على السيف فى أخذه ، وما أخذ بالقوة يمكن أن يُسْتَرَدَ بالقوة ولو بعد حين . ولقد ضاعت فتوحات الإسكندر الأكبر كزوبعة فى فنجان فى بضع سنين بعد وفاته ، ولم يستقر حكم اليونان للبلاد التى فتحها الإسكندر الأكبر ، ولم يَسُدْ دِينٌ لليونان فى البلاد التى فتحها الإسكندر الأكبر ، ولم تسد حضارة لليونان فى البلاد التى فتحها الإسكندر الأكبر سيادة مطلقة .

هذه هى عبرة تاريخ البشرية ، فهل يعتبر البشر ؟ هذه هى الآفاق والآماد القصيرة المدى للقوة العسكرية بحد ذاتها فهل يعدل البشر ويتراجعون عن اللجوء إلى القوة العسكرية وحدها ؟

ومن المستحيل أن يبلغ ملك أو رئيس ما بلغه الإسكندر الأكبر من سيطرة عسكرية على العالم المعمور ، فلينظر الملوك والرؤساء وكل حكام العالم ماذا بقى لليونان من فتوحات الإسكندر الأكبر !

لا شىء سوى عبرة أن الاجتياح العسكرى كالزوبعة فى الفنجان ، لا يبقى منه شىء على مر الزمان .

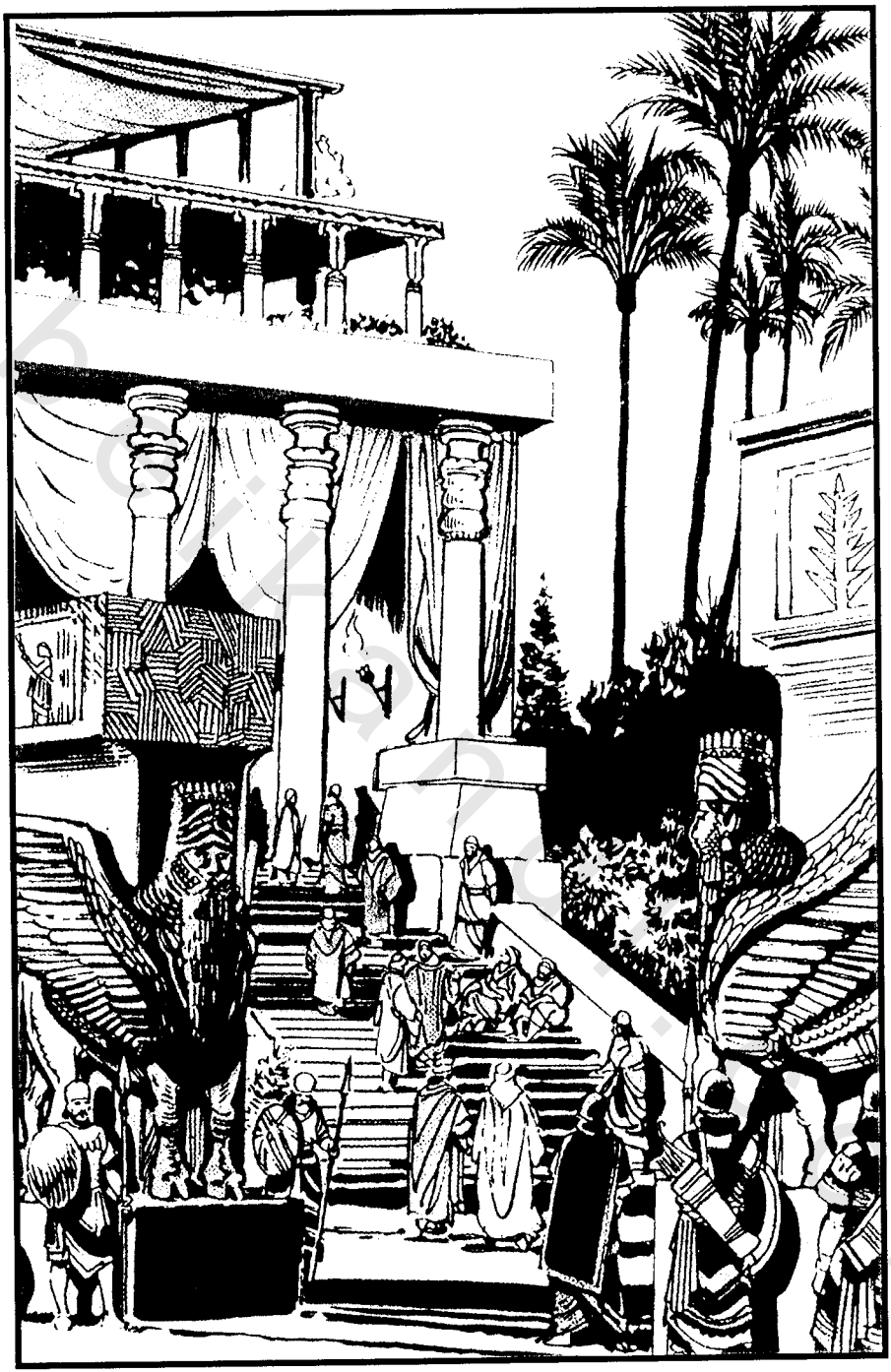

".. كانت الإمبراطورية الفارسية تشكل فى الأغلب الأعم دولة
واحدة تخضع لحكم ملك واحد"